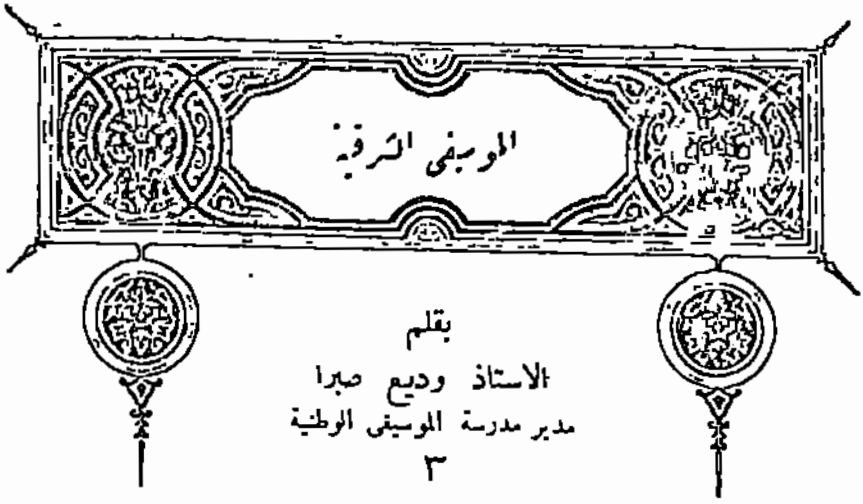

بقلم
الاستاذ وديع صبرا
مدير مدرسة الموسيقى الوطنية

٣

بقي علينا ان ندرس ديواناً واحداً ، وهو الذي استعملناه في آلتنا الموحدة الوتر . على اننا ، قبل الدخول في الدرس ، نلاحظ ان هذا الديوان اقرب الى ديوان حضرة الاب كولنجيت منهُ الى غيره .

ولكن مع ان ابراج ديوان كولنجيت موافقة تاماً للاصول العلمية ، فانها لا تكفي لتوقيع جميع النغمات الشرقية . وان مـا يستنتجه السيد اسكندر شلفون من عدم وجود ديوان منظم كافٍ لتوقيع جميع النغمات ، ينطبق ايضاً على ديوان كولنجيت .

وإذاً فان ديواني كولنجيت وشلفون صحيحان اجمالياً ، ولكن ينقصهما ، حسب قول صاحبيهما العالمين ، بعض ابراج ؛ فلا يسعهما والحالة هذه توقيع بعض النغمات الشرقية من التي لم تتحدَّد ماهيتها قبل اليوم . فالى هذه النغمات المجهولة لفتنا نظرنا ، وفي سبيل تحديدها وجهنا ابحاثنا .

لنأخذ مثلاً نغمة « سيكاه » في ديوان كولنجيت ، وتكون بان نحبس من الوتر ١٨,٥٢ جزءاً ، فتراها اكثر انخفاضاً من اللازم للحن الرصد لانها مستعملة في البعد الثلاثي (tierce) من الاتفاق . وقد تكون هذه « السيكاه » حسنة الوقع في « البيات » اذا استعملت بتحفظ وخُفض بها الى مقطع غير متحرك . وربَّ قائل يعترض بان « القانون » يوقع هذه النغمة « سيكاه » نفسها ويضرب لحني « الرصد » و « البيات » دون تمييز . فنجيب ان هذا النقص تخفيه الآلات الوترية ذات القوس . لان هذه توقع « السيكاه » تارةً معادلةً $\frac{11}{12}$ ، وطوراً $\frac{10}{11}$ ،

وقد توقعها حيناً معادلةً للبعد الثلاثي الطبيعي $\frac{9}{10}$

وفضلاً عمـاً تقدَّم فاننا لا نرى في ديوان كولنجيت الفضلات المنخفضة . وعليه فان الالحان من فئة « الحجاز » لا تظهر بطريقة واضحة بليغة.

وقد لاحظت مراراً عديدة ان عوّادينا يرفعون نغمة « جهاركاه » في لحن « نهاوند » بأن يحبسوها بالاصبع الخامس عوض الرابع . فينالون هكذا نغمةً ملائمة واقرة الوقع . والحـال ان ليس من اصحاب النظريات بين مؤلفينا من اشار الى هذا الاستعمال في نغمة « جهاركاه ».

* * *

ولنبدأ الآن درس الالحان العربية المختلفة مع الأبعاد بين انصاف ابراجها:

« الرصد » لحن من فئة دو (do) الكبرى . وثالث درجة من هـذا السُلَّم ، او الديوان ، تقابل البعـد الثلاثي الطبيعي عند الأتراك. اما العرب فيخفضون هذا البعد الثلاثي مقدار تسع برج (= كوما) او تسعَين.

« البيات » لحن من فئـة ري (ré) الصغرى دون العلامة الحسّاسة[1] . ويمكن ، في هذا الديوان استعمال « السيكاه » معادلةً $\frac{11}{12}$ من البرج ، ولكن بكل تحفُّظ ، وبالانخفاض فقط.

« الحجاز » . ان نغمـة مي المنخفضة (mi bémol) في البرج الثاني ، تعادل في هـذا اللحن ، فضلةً (limma) منخفضةً ، فتظهر اعلى من علامة الديوان المعدَّل. وهو امرٌ يلطِّف كثيراً البعد الثاني الذي تكاد تشمئزّ منهُ الاذن اذا ما وقع على البيانو.

« العشاق العربي » او « البوسليك » . هو لحن من فئة ري (ré) الصغرى مع العلامة الحسّاسة . وتقع الدرجة الثانية من هذا اللحن على مسافة برجٍ اكبر من قراره . اما درجتـه الثالثة فتعادل نغمة فا (fa) بعد ان تخفض قيمة تسع برج (comma) . وعنـد المقاطع المحرّكة تسترجع فا محلّها الاصلي وتصعد الدرجة الثانية تسعَ برج ، بحيث يحصل بُعدٌ اصغر من الفضلة، وهو اصغر

---

١) اي العلامة السابعة من الديوان التي يكون بُعدها نصف برج عن العلامة الثامنة

بعد يمكن الاذن ان تُقره في الأبعاد النغمية .

« الحجاز كار » مرتبة مؤلفة من « حجازَين » قرارها عند نغمة دو (do) .

وفي النظرية البيزنطية ان بعدها الثلاثي يقع تحت البعد الرباعي بربع برج . على اننا نرى في التحقيق ان المستعمل في هذا اللحن ليس ربع البرج ولا الفضلة ، بل البعد الثلاثي الطَبيعي .

«الصبا» لحن ذو ميزة خاصة يقع قراره عند نغمة ري (ré) الطبيعية . ولكن هذه النغمة تُصبح ري منخفضة (ré bémol) في الجواب . امّا الدرجة الرابعة في هذه المرتبة الصغرى فلا تقع فوق الدرجة الثالثة ببرج واحد ، كما هو الحال في جميع المرتبات الصغرى ، بل بنصف برج فقط . فينتج ان هذه الدرجة الرابعة من المرتبة الصغرى المذكورة ليست سوى البُعد الثلاثي الاكبر ، وهو أمر وحيد من نوعه في فنّ الموسيقى .

« الكردي » لحن حقيقٌ بالشرق لما يكثر فيه من الفضلات التي تحلّ محلّ انصاف الأبراج . وهي مرتبة تقع خاتمتها عند نغمة دو (do) ، ودرجتها الثالثة مي منخفضة ، والسابعة ليست علامة حساسة . وقد تقرب هذه المرتبة بنغماتها الاربع المنخفضة من مرتبة من فنة فا الصغرى تبدأ وتنتهي على الدرجة الخامسة .

« السيكاه » . قد يطلق ارباب النظرية الغربية في الموسيقى اسم « الدرجة الرديئة» على الدرجة الثالثة من المرتبة . وهم يحظّرون الاتفاق (accord) من هذه الدرجة في المرتبة الصغرى ، ويأذنون به في المرتبة الكبرى . وليس الامر كذلك في الموسيقى الشرقية . فاننا كثيرًا ما نرى نغمة الدرجة الثالثة من المرتبة الصغرى تسيطر على اللحن بجملته ، اما الدرجة الثالثة من المرتبة الكبرى فقد تستعمل نغمة قرارية . وعليه فتظهر هاتان النغمتان من افضل النغمات في بلادنا ، ولكل بلاد زيّ . هذا وقد يكون « السيكاه » اقوى الالحان ميزة في الموسيقى العربية . تقع نغمته القرارية في البُعد الثلاثي من اتفاق « الدو » الكبرى . على انها قد تكون عرضة للتبدّل . فان الاتراك يحلّون محلّ البعد الثلاثي المعتدل البعد الثلاثي الطبيعي ، والعرب يخفضونها

قيمة تسع برج . وقد يكون الاتراك شعروا بالحاجة الى خفض هـذا البعد الثلاثي ، فنتج من ذلك انهم كثيراً ما يجعلون اصابعهم تنحـدر على الوتر ، وكذلك عوّادو العرب فانهم لا يقرّون اصبعهم قائمـاً على هذه النغمة ، بل يدعونه ينتقل كانه يختار بين الأتساع المتجاورة .

اما « العراق » فهو تصوير (transposition) « السيكاه » الى قرار البعد الرباعي .

واما « العجم » فهو ديوان فيثاغورس ، اذا جعلت نغمته القرارية عند سي المنخفضة .

واما « الجهاركاه » فهو الديوان السابق نفسه تجعل نغمته القرارية عند فا ؛ على ان نغمته الحسّاسة اقرب من النغمة القرارية ، فهي تعادل فضلةً ناقصة .

اما « النهاوند » فهو مرتبة صغرى تقع نغمتها القرارية عند دو الطبيعية وبعدها الثلاثي الاصغر صحيح ، وهو اخفض من البعد الثلاثي المعتدل ، واشدّ تأثيراً . ولنلاحظ هنـا ان اكثر اناشيد الحزن الشجيّة مؤلفة بنغمة دو الصغرى . من ذلك أنشودة شوبن (Chopin) المأتمية وانشودة بتهوفن المدعوّة (Symphonie Héroïque de Beethoven) . واننا نسأل نفسنا ماذا يكون من امر هذه الاناشيد ، اذا وقّعناها على طريقة «النهاوند» ؟ وليس من الصعب توقيـع انشودة بيتهوفن على هذه الطريقة . واني اخال المؤلف نفسه شعر بهذه الميّزة في انشودته ، فترك النوبـة تضرب مقطعاً كاملاً على القرار وحده دون ايقاع حسب الطريقة العربية . على ان العرب يزيدون هذه النغمة شجاً وتأثيراً بضربها على الدرجة الرابعة اي فوق تلك بتسع برج .

وهنا بعد ان ضرب الاستاذ على آلته الوحيدة الوتر ، اشفع على جميع النغمات الشرقيـة المذكورة ، اردفها بلحن مأخوذ من كتاب حديقة القس بولس الاشقر في انغام الطقس الماروني ضربه اولاً على البيـانو الغربي ثم على آلته ، فاظهر الفرق جلياً بين الطريقتين ، وبرهن ان موسيقانا بحاجة ماسّة الى من يهتم بها ، وهي جديرة بالاهتمام .